ISSN 1412-226x

الزهراء

نصف سنوية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية والعربية

في هذا العدد

- طبيعة التربية الدينية الإسلامية واشتقاقها لبناء المنهج المدرسي
- ماهية العرفان الإسلامي
- إحياء اللغة العربية من الوعي بالتراث إلى الرؤية المستقبلية
- أهمية السياسة الشـــرعية من منظور القرآن
- قضية الفصواصل في القرآن الكريم

السنة الثانية عشرة العدد 2 1436هـ/2014م

ISSN 1412-226x

A L - Z A H R Ä '

الزهراء

نصف سنوية محكمة تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا، تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية والعربية

A refereed academic twice yearly, published by Islamic and Arabic Studies Faculty,
the State Islamic University (UIN) Syarif Hidayatullah Jakarta,
and concerned with Islamic and Arabic research and studies

Volume 12, No 2, 1436 H/2014 M السنة الثانية عشرة، العدد 2، 1436هـ/2014م

رئيس التحرير
أحمد دين أحمد طهار

سكرتير التحرير
محمد خير المستغفرين

منفذو التحرير
إمام سوجوكو غلمان الوسط أحمدي عثمان

هيئة التحرير
عثمان شهاب ويلي أوكتافيانو حمكا حسن

التوزيع والتسويق
محمد غوروه

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير:
Fakultas Dirasat Islamiyah Universitas Islam Negeri (UIN) Syarif Hidayatullah,
Jl. Ir. Juanda No. 95 Ciputat Jakarta 15412 Indonesia

العنوان الإلكتروني:
fdiazhar_uinjkt@yahoo.com

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت:
www.fdi.uinjkt.ac.id

المحتوى

ᘓ حديث الزهراء

طبيعة التربية الدينية الإسلامية واشتقاقها لبناء المنهج المدرسي 5
محمد شيرازي دمياطي.....

ماهية العرفان الإسلامي
15
السيد إسحاق الحسيني الكوهساري.....

إحياء اللغة العربية: من الوعي بالتراث إلى الرؤية المستقبلية
37
أحمدي عثمان.....

أهمية السياسة الشـرعية من منظور القرآن
53
أحمد رضا.....

قضية الفصواصل في القرآن الكريم
90
محد رفقي أرقزا.....

ماهية العرفان الإسلامي

السيد إسحاق الحسيني الكوهساري
عضو الهيئة العلمية بجامعة طهرات- پرديس قم.

نبذة

نستعرض في هذه المقالة مقدمة وبيانا لأهمية البحث، وبعض التساؤلات حول العرفان والتصوف ونجيب عنها:

1 . هل يمكن اتصاف الفلسفة والعرفان بالصفة الإسلامية أو غير الإسلامية؟

2 . هل للعرفان الحالي المستورد من الثقافة الاجنبية جذور إسلامية؟

3 . هل ان ماهية العرفان الحالي إسلامي؟

وبعد تفسير ماهية الفلسفة والعرفان، ومعرفة جواز توصيفهما بالإسلامي أو غير الإسلامي، نستعرض هنا ثلاث نظريات حول ماهية العرفان الإسلامي وهي:

1 . النظرية الأولى:

نظرية العرفاء، فهم يرون انسجام العرفان وانطباقه تماماً على الإسلام، وكونه يشكل واجهة الإسلام الأصلي المحض.

2 . النظرية الثانية:

نظرية أهل الحديث وبعض المستشرقين، القائلين: بان العرفان الإسلامي هو ثقافة مستوردة دخلت في الإسلام.

وقد نشأت من خلال استعراض كلا النظريتين نظرية ثالثة، وهي نظرية معتدلة ومقبولة ومنطقية، إرتآها كثير من المفكرين والفلاسفة المتاخرين، ومن بينهم: الشهيد مرتضى المطهري، والعلامة الطباطبائي، والإمام الخميني(ره)، فقد اعتقد هؤلاء الحكماء أن الماهية الأصلية للعرفان إنما هي نابعة ومستوحاة من الكتاب والسنة، وليست مستوردة من الثقافة التي سبقت الإسلام، فالعرفان آفاقه ومجالاته واسعة، وكذلك التصوف، وان تأثيرهما وتأثرهما بالثقافة الأجنبية والحضارات المستوردة إنما هو ناشئ عن ابتعادهما عن الكتاب والسنة والعترة الطاهرة.

ونتناول في هذه الدراسة بعض المفاهيم والاصطلاحات الرئيسية كالتصوف، العرفان، الفلسفة، الكشف والشهود، افلوطين، العرفان الهندي، وغيره من المحاور الرئيسية التي تصب في جهة البحث.

لا يتحدد العرفان والتصوف بكلا قسميه الإيجابي والسلبي بدين خاص وثقافة معينة، فقد كانا ولا يزالا متأثرين بجوانب الإفراط والتفريط، فمن جهة يلتزم المسلمون

بالكتاب والسنة، ويتأثروا من جهة أخرى بالثقافة التي سبقت الإسلام، ومن هنا: ظهرت تيارات انحرافية سياسية وأخلاقية دعت إلى فصل الدين عن السياسة في عصر الحكومات السابقة كالحكومة الأموية والعباسية، فما أوجد أرضية انحرافية خصبة تدعى <بالعرفان والتصوف> في المجتمع الإسلامي، فسّموا بعض المسلمي أنفسهم <بالزاهد والعارف>، واصطلحوا على أنفسهم تسمية المتصوفة، فقالوا بالحلول والاتحاد في العرفان النظري، وعزل الشريعة عن الطريقة في العرفان العملي، وبنوا لهم (خانقاهات) بدلاً من الذهاب إلى المساجد، وعزلوا أنفسهم عن صفوف المسلمين، وانقسموا إلى فرق وطوائف مختلفة، وقد شهد التاريخ الإسلامي وتاريخ الفلسفة والعرفان كل تلك التحولات والأحداث الفكرية والسياسية، فلم يكن الهدف في هذا البحث هو الدفاع والتصدي لكل ما هو أجنبي وغريب في العرفان والتصوف، بل الدفاع عن العرفان الأصيل النابع من الإسلام <أي الكتاب والسنة والعترة الطاهرة>.

لقد دخل العرفان والتصوف الإسلامي في إطار دائرة العلوم الإنسانية قديماً، كما أثبتت ذلك المؤشرات والأدلة التاريخية، وقد كان لكل منهما أتباع ومؤيدون، وخصوم رافضون، من المسلمين والمستشرقين.

ونستعرض في هذا البحث عدة محاور أساسية وأسئلة تقدم ذكرها وهي:

1 . هل يمكن اتصاف العرفان والتصوف بكونه إسلامياً أو غير إسلامي أم لا؟

وللإجابة عن هذا السؤال:

هنا ثلاثة آراء حول هذا الموضوع هي:

1 . الرأي الأول:

وهو للعرفاء والمتصوفين الأوائل، فهم يرون أن أفكارهم تنطبق على الإسلام الأصيل، وأنها نابعة من الإسلام دون أي انحراف، ويبرّئون أنفسهم عن كل سلوك خاطئ أو التقاط.

2 . الرأي الثاني:

وهو رأي أهل الحديث وبعض المستشرقين، فهم يعتقدون ان هناك هجمة ثقافية أجنبية لمواجهة الإسلام، وهدفها إبعاد الإسلام عن مبادئه الأصلية، وهي ثقافة مستوردة جاءت من ثقافات الدول المجاورة وغيرها مثل: اليونان، وإيران، الهند، الصين، الزنادقة الخارجون عن الثقافة الإسلامية بعد عصر الترجمة. وقد استند القائلون بهذا الرأي على الأحاديث والروايات الصحيحة في هذا الباب، واعترفوا بأن هذه الهجمة دخلت الإسلام من الخارج، مما دعا المسلمون إلى تفسيقهم وتكفيرهم، بل وجوب قتلهم وإراقة دمائهم. وتابع أهل الحديث الأوائل في رأيهم هذا بعض الباحثين والمفكرين والمستشرقين.

3 . أما الرأي الثالث:

فهو لبعض المعتدلين في نظرتهم واتجاههم حول العرفان والتصوف، كالإمام الخميني(ره) والشهيد المطهري والعلامة الطباطبائي، مبتعدين عن الإفراط والتفريط، ومعتقدين بأن العرفان الأصيل هو المعبّر عن الكتاب والسنّة والأدعية، ومناجات الأئمة المعصومين، كدعاء كميل ودعاء الإمام الحسين في عرفة، والصحيفة السجادية، والمناجاة الشعبانية، وأبي حمزة الثمالي، وسنقدّم في هذا البحث نقداً موضوعياً وتحليلاً علمياً لكل من تلك الآراء الثلاثة حول التصوف والعرفان.

ضرورة البحث:

نشير في هذا البحث إلى أن الكلام عن التصوف والعرفان هو ليس كلاماً اصطلاحياً محضاً، بل كان ولا زال لكل منهما آثاره المصيرية وتأثيره في الثقافة والحضارة الإسلامية، وتكمن أهمية هذا البحث في هذا الجانب، وذلك من خلال الحركة العلمية والتقنية الحديثة، وتطور العلوم والمعارف الإسلامية والعرفانية بين الأمم. وهنا نتسائل: هل اقتربنا من روح الإسلام وجوهره؟ أم ان الاقتراب من الثقافة الأجنبية المستوردة كان عاملاً في حالات الانحراف والاغتراب عن الثقافة الإسلامية الأصيلة؟!

ولإيضاح البحث: سندقق النظر في كلام المخالفين والمؤيدين لمعرفة آرائهم في هذا الموضوع، ومتابعة دراساتهم وأبحاثهم المنصفة ونقدهم البنّاء، لأنه سيساهم في رفع الأزمات، وإيجاد الحلول للخروج من الأزمة.

1 . هل يمكن اتصاف العرفان والفلسفة بالمفهوم الإسلامي وغير الإسلامي؟

ونطرح السؤال بصيغة أخرى ثانية ونقول:

هل ان التعبير بالفلسفة والعرفان الإسلامي صحيح أم لا؟

ويتبع هذا السؤال من صميم سؤال آخر هو: هل يمكن تسمية العلوم والفلسفة والعرفان بالإسلامية أم لا؟!

فالوصف الإسلامي إما ينشأ من هذه الجهة، أو من جهة الفلاسفة والعرفاء، أو من جهة فحوى مفاهيم ومواضيع كل منهما وانطباقها على المفاهيم الإسلامية الأصيلة.

وعلى كل حال، فإن كلا النسبتين لا تستلزم ان كل ما يحتويه العلم هو مختص بالمسلمين، وكذا فحواه ومفهومه، فإن قيل به، فمعناه ان كل فلسفة وعرفان وما فيهما من مفاهيم ومعارف ستكون إسلامية؟! أو أن كافة العرفاء هم مسلمون؟! ..... لكن بناء على هذا، فسوف لا يكون لدينا فلسفة وعرفان إسلامي، بل إننا سنفقد أيضاً الفلسفة والعرفان المسيحي والأوربي أيضاً، وسوف لا يصح نسبة أي علم أو فلسفة وعرفان لأي أمة من الأمم أو مذهب من المذاهب، وطائفة من الطوائف[1].

وعلى هذا الأساس، فلو قيل أن المراد بالعرفان الإسلامي هو أن أكثر العرفاء هم مسلمون، أو أن أكثر مواضيعه نابعة من الكتاب والسنة، فالنسبة صحيحة، وهو كلام

مقبول، رغم وجود بعض المفاهيم التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، ولا تتناسب مع العقيدة الإسلامية، ورغم وجود بعض العرفاء والفلاسفة غير المسلمين من اليهود أو المسيحيين.

وعلى كل حال، فليس الادعاء أن كل ما هو موجود في العرفان الموجود هو مولود ومستوحى تماماً من الكتاب والسنة، بل هي مفاهيم وعناوين استعانت بالوحي والسنة، وقد خلد العرفاء والمفكرون الكبار الإسلاميون تراثاً عظيماً يدعى <بالعرفان> في فترات تاريخية صعبة، وذلك من خلال اعتمادهم على مناهج وأساليب إسلامية أصيلة، فأضفوا على الثقافة التي سبقت الإسلام منهجاً وأسلوبا علمياً، وثراء طريّاً كان عاملاً في تطور العرفان وانتشاره.

. هل العرفان الموجود حاليّاً له ماهية إسلامية؟

العرفان لغة بمعنى العلم، واصطلاحاً بمعنى معرفة الله سبحانه وتعالى[2]، ولا شكّ ان العرفاء الأوائل لم يكن لهم اصطلاحاً خاصّاً للعرفان، لعدم معرفتهم بمفاهيم اصطلاحات أساليب التعاريف، فهو فن عصري جديد، قال السهروردي: زادت أقوال المشايخ قدس الله أسرارهم في التصوف عن أكثر من ألف قول، وذكرها كلّها أمر صعب، ولكن هذا الاختلاف إنما هو في اللفظ لا في المعنى طبعاً[3]. فلم يكن لفظ الصوفي والعارف مستعملاً في القرن الأول، ولم تكن تطلق هذه التسمية على كل فئة أو طائفة[4] بل بدأ استعمال لفظ (الصوفي) في منتصف القرن الثاني الهجري[5]. ويشير تقرير سراج الطوسي في شرح حال سفيان الثوري (م 161ق) بأن لفظ العارف كان قد استعمل في القرن الثاني الهجري[6]، ثمّ شاع استعماله وكثر في القرن الثالث الهجري، فأبدل أبو يزد لفظ الصوفي فقال: كمال العارف هو أن يضحي بنفسه لأجل الحق، فالعارف هو الذي يرى المعروف، ويجالس العالِمَ للعالَم[7]، وذكر السقطي مثله[8].

وحصيلة ما ذكرنا هو ان تسمية العارف والصوفي لم تكن متداولة في القرن الأول الهجري، بل شاع استعمالهما في القرن الثالث والرابع الهجري وما بعدهما.

لقد كان العرفان طريقاً للمعرفة لدى كافة الشعوب والأمم، فهل كان العرفان الإسلامي كالفقه والأصول والتفسير والحديث؟ بمعنى كونه من العلوم التي أخذ المسلمون عناصره ومكوناته الأساسية من الإسلام وحده، فوضعوا له ثوابت وقواعد وأصول في تهذيبه وصياغته، أم ان العرفان كالطب والرياضيات؟ بمعنى أنه أجنبي ومستورد من الخارج إلى العالم الإسلامي، ثم تكامل العرفان بعد ذلك من قبل المسلمين في أوساط الحضارة والثقافة الإسلامية، أو أن هناك قسماً ثالثاً؟

وهذه الآراء الثلاثة هي التي صاغت وكونت المفهوم العرفاني وهي:

الرأي الأول:

العرفان والتصوف هما الإسلام الأصيل:

اعتقد كثير من العرفاء والمتصوفين ان العرفان والتصوف يمثلان الإسلام الواقعي المحض، حيث اتضحت فيه كثير من الحقائق الإسلامية والمعارف الإلهية أكثر من غيرهما من العلوم الأخرى. وان المسلم الواقعي هو الذي يعتقد بهما، ويسلكهما نهجاً له في حياته، ويطبق تعاليمهما. لقد اعتمد التصوف والعرفان في جانبهما العملي والنظري على الكتاب والسنة وسيرة الأئمة وكبار الصحابة.

ويقول هؤلاء أيضاً: أن الاعتقاد بالحياة الأخروية في الإسلام جعل النظرة الواقعية إلى الحياة الدنيا واللذائذ والشهوات المادية نظرة هامشية وسطحية على أنها لهو ولعب، كما قال الله تعالى: {**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ ...**}[9].

وحياة النبي التي هي الأسوة الحسنة كما قال تعالى: {**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**}[10]، هي المثل الأكمل والنموذج الأعلى في الزهد والسذاجة وعدم التكلف في الحياة الدنيا، فهو رغم انشغاله بالعبادات، فقد كان مأنوساً بالمناجاة والأدعية، وكان يختار لها أماكن خاصة في العزلة والانزواء، أو الاعتكاف في المسجد.

تحليل ودراسة:

قولهم ان (العرفان) هو الإسلام المحض... الخ هي مجرد دعوى، لا دليل عليها، ولا شواهد تاريخية تثبت صحتها، ولا يمكن الدفاع عنها أيضاً[11].

لقد أثبتت المؤشرات والشواهد التاريخية والدراسات العلمية الحديثة ان ظهور التصوف والعرفان كان في بداية القرن الثاني والثالث الهجري، ثم شاع استعمالهما واتسع نطاقهما في تلك العصور؛ وأما ان بعض المسائل العرفانية أو أكثرها كانت لها جذور إسلامية، فهو كلام آخر سوف نذكره في الرأي الثالث.

الرأي الثاني:

العرفان والتصوف هما اقتباس من الثقافة الأجنبية

ان هناك اعتقاد بان العرفان والتصوف كانا خاضعان بدءاً للثقافة الاجنبية، بسبب ارتباط المسلمين برهبان النصارى وقساوستهم، وبعرفاء الهند، وفلاسفة اليونان، فمن القائلين بهذا الرأي:

ألف . أهل الحديث

استدل أهل الحديث من خلال الروايات الإسلامية على ان أئمة أهل البيت كانوا قد رفضوا عمل المتصوفة وأساليبهم اللامشروعة، بل ان بعض الأخبار عنهم توجه فيها ذم المتصوفة ولعنهم، ومنها ذم الإمام السجاد للحسن البصري عن الموعظة في منى، فقد روي أن الإمام زين العابدين مرّ بالحسن البصري وهو يعظ الناس بمنى، فوقف عليه، ثم قال: امسك، أسألك عن الحال التي أنت عليها مقيم؟ أترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله إذا نزل بك غداً[12]، فما رأي الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس[13].

وقد نفى المستشرق لوئي ماسينيون أي صلة للتصوف بالإسلام، استناداً على هذه الرواية[14] وهو فهم غير صحيح منه للرواية، وذلك لأنه:

أولاً: ان النهي كان متوجهاً لنفس شخصية الحسن البصري، ويدل عليه ما ذكر في آخر الرواية: فما رأي الحسن البصري بعد ذلك يعظ.

ثانياً: عدم اشتهار العرفان والتصوف في ذلك العصر لكي يصح الإثبات أو النفي، ولكن خبراً مروياً عن الإمام الصادق جاء فيه: أن أبا هاشم الكوفي هو الذي ابتدع مذهباً يقال له: التصوف، وجعله مقراً لعقيدته الخبيثة[15]، وهناك رواية مثلها مروية عن الإمام الرضا[16].

لقد كانت المؤشرات والشواهد التاريخية تشير إلى ان ذم المتصوفة كان قد بدأ في عصر الإمام الصادق وبعده، وقد جمع العلاّمة المجلسي كثيراً من تلك الروايات والأخبار في ذم المتصوفة في كتابه سفينة البحار[17] وحدائق الشيعة المنسوب إلى المقدس الأردبيلي (م 993) وهو من علماء الشيعة[18]، وتلبيس إبليس لابن الجوزي وهو من علماء السنة[19]، وقد أثبتت الشواهد التاريخية صحة هذه الدعوى، وانه لا علاقة للتصوف بالعصر النبوي، أو العصر العلوي لإثبات هذا الأمر أو نفيه.

ثم ان أغلب المتصوفة المشهورين هم من أهل السنة، كالجنيد، وأبي يزيد البسطامي، والبغدادي، والعطار وغيرهم... وان محاولة بعض الصوفيين ربط أمجادهم تواريخهم بعصر النبي وبداية مجيء الإسلام الأول، واتخاذهم الخرقة ونسبتها لعلي اقتداء به، وادعائهم ان سلمان وأبا ذر والمقداد هم من مشايخهم، هي محاولات فاشلة ويائسة، وهو مجرد ادعاء محض لا شاهد عليه؛ سوى رواية منقولة عن العوالي تثبت فيها اتصال

التصوف بالعصر العلوي، جاء فيها: ان (الصاد) علامة الصدق والصفاء، و(الواو) على المحبة والوفاء، (والفاء) على الفقر والفناء.

ويمكن الإشكال عليه:

بان كتاب عوالي اللئالي لابن جمهور هو ليس من الكتب العلمية المعتبرة، وأنّ مؤلّفه متّهم بالخلط بين الروايات الضعيفة والصحيحة.

تحليل ودراسة:

أثبتت الأدلة والشواهد التاريخية التي لا يمكن إنكارها بأن التصوف والعرفان كان قد نشأ بعد مرور قرنين من الزمن بعد ظهور الإسلام، وكان الهدف منهما منع الناس من الذهاب إلى دور أئمة أهل البيت وبيوتهم، وكان أغلب دعاة التصوف آنذاك هم من أهل السنة، وقد فتح لكل من التصوف والعرفان جانبان في مسيرتهما التاريخية هما: الجانب النظري والعملي، فاتسع نطاق العرفان بكلا جانبيه، ولكن التصوف أخذ يعاني من حالات التفريط التي أصابته، وبقي يرشف في قيوده واغلاله، حتى دعنى هذا الأمر المسلمين تكفير المتصوفة، كما ذكر ذلك الملا صدرا في كتابه <كسر أصنام الجاهلية> بقوله: إنهم تركوا العلم جانباً، وابتدعوا لهم شرائع كاذبة مخالفة للكتاب والسنة، فكان كشفهم وكراماتهم وخوارق عاداتهم شعبذة، ... الخ[20]، وهاجمهم وانتقدهم بشدة في اعتقاداتهم، وكان تلميذه الفيض الكاشاني قد ذكر مثله في الأنصاف[21]، ولهذا فإن النظرة الواحدة المتساوية حول العرفان والتصوف لا تخلو من إشكال.

ب . نظريات المستشرقين والباحثين:

يرى بعض الباحثين والمستشرقين أن هناك تشابهاً بين العرفان والتصوف والثقافات السابقة عن الإسلام، بل هما وليدا تلك الثقافات، وتأثرهما بها، ومنها:

1 . المذهب البوذي:

ان الباعث على هذا التشابه بين المذهب البوذي والعرفان والتصوف هو وجود التقارب الإقليمي والتاريخي، فإن أغلب العرفاء هم ينتمون إلى شرق إيران والصحراء الوصطى القديمة، أو خراسان، وهي أقرب منطقة مجاورة إلى البوذيين[22]. ومن الشواهد المهمة في تأثر العرفان الإسلامي بالمذهب البوذي هو وجود شخصية إبراهيم بن ادهم البلخي (م 762 . أو . 761ق)، فاسطورته مستوحاة من أسطورة بوذا وتلك الأسطورة هي: أن إبراهيم بن أدهم البلخي كان أميراً، فخرج يوماً إلى الصيد، فسمع هاتفاً يقول: إننا لم نخلقك لصيد الغزلان والثعالب؛ فاتعظ بهذا الكلام، وخلع عنه الملابس الفاخرة وثياب

الإمرة، واتخذ سبيل الدراويش، وأخذ يجوب البلدان، إلى أن وصل إلى عالم الكشف والشهود[23].

تحليل و دراسة:

ان مجرد وجود المشابهة ليس دليلاً لإثبات المدعى المذكور، وذلك:

أولاً: لان ظهور التصوف كان في البصرة وبغداد، وان نقله إلى شرق إيران مما لا شاهد عليه.

يقول الدكتور زرين كوب: ومع كل ذلك، فإن انتساب التصوف والعرفان بأكمله وخضوعه وتأثره بالفكر البوذي هو انتساب واهي لا يمكن الاعتماد عليه، ولا أساس له أبداً.

ثانياً: أثبتت الدلائل التاريخية والشواهد العديدة صحة وجود <إبراهيم بن أدهم>، وأنه لم يكن شخصية خرافية أو أسطورية، بل كان له وجود خارجي حقيقي لا كما قيل؛ بأنه <شخصية أسطورية>، فهو إدعاء لا شاهد عليه، هذا من جهة . ومن جهة أخرى: أن شخصية <بوذا> هذه، ليس لها وجود أو أثر في العرفان والثقافة الإسلامية[24].

2 . الدين المسيحي

يعتقد بعض المستشرقين أن انتشار الإسلام في بعض البلدان الإسلامية مثل: <سوريا، العراق>، وارتباط المسلمين بالمسيحيين ورهبان الكوفة، ودمشق ونجران، وشيوع المسيحية وانتشارها بين القبائل العربية قبل الإسلام، كانت عوامل وأسباب في وجود الشبة بين التصوف والعرفان وبعض معتقدات الدين المسيحي[25].

لقد قام المستشرق والباحث الأنجليزي (گوليوث) بموازنة بين ما ذكره المحاسبي وهي أول شخصية كتبت في التصوف الإسلامي، وبين انجيل متى في الباب الخامس منه[26]، ورأى <نيكلسون> بأن الميل نحو الزهد والتصوف هو تقليد واقتباس من قساوسة ورهبان النصارى[27]؛ وقد أثبتت الإدلة والشواهد التاريخية بأن بناء الصومعة والخانقاه هو تقليد لرهبان النصارى، بل أن أول <خانقاه> بنيت للمتصوفة كانت في (رملة الشام) وهي من ديار النصارى، على يد أحد الأمراء والقادة المسيحيين[28] وهناك شواهد عديدة تثبت صحة التشابه، منها: الكلمات الخفية ورموز الأسرار[29]، والمكاشفات الروحية[30]، واسقاط التكاليف[31]، ودرجات المقامات السبعة في الوصول إلى مقام الإتحاد والوحدة[32]، ووجود التقسيم الثلاثي لخواجه عبدالله الأنصاري إلى ثلاثة رتب، وكل رتبة إلى ثلاثة أركان، حيث اعترف بذلك أيضاً عبدالرزاق الكاشاني في شرحه منازل السائرين[33]، ورأى البعض ان التثليث في الواقع كان لابن عربي، وهو دليل الاقتباس.

تحليل ودراسة:

نحن لا ننكر تأثير الدين المسيحي وخاصة المدرسة الإسكندرية والانطاكية على التصوف والعرفان، ولكن هذا ليس دليلاً على وجود جذور لها في العرفان الإسلامي،

فمفهوم (العشق والحب) مثلاً له جذور قرآنية ولا علاقة له بالمذهب المسيحي، كقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ...**﴾[34]، وقوله ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...**﴾[35]، وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا...**﴾[36]، وله جذور روائية أيضاً، كحديث التقرّب بالنوافل، وقد أكد الإسلام عليها كسائر الأديان السماوية، وليس هناك أي تشابه بين التصوف والرهبانية المسيحية إطلاقاً، لان أغلب المتصوفة متزوجون، ولديهم عوائل وأسر وأبناء، مضافاً إلى أن الرهبانية المسيحية هي بدعة في اعتقاد القرآن، كما قال تعالى: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ...**﴾[37].

والأمر الهام في هذا الموضوع هو أن الرهبانية اقتحمت كافة الأديان، وأثّرت عليها تأثيراً افراطياً وسلوكياً، ولا اختصاص لها بالدين الإسلامي، كما ان العرفان لا يتحدد بمذهب أودين معين، بل هو موجود في سائر الطوائف والأديان.

3 . المذهب والاعتقاد اليهودي:

يرى بعض المستشرقين أمثال: كيجر، كافمن، مركسي، فان سنك، هرتسفلد، جولدزيهر وغيرهم بأن العرفان والتصوف كانا قد تأثراً بالمذهب اليهودي[38]... وان التعاليم العرفانية الإسلامية تشبه تعاليم تلمود اليهود تماماً[39]، بل تشبهها حتى في الالفاظ والمصطلحات أمثال: الناسوت، الرحموت، الرهبوت، الجبروت، والوحدانية.

تحليل ودراسة:

ان ما ذكر من وجود الشبه في بعض المفاهيم لا يكون دليلاً على التأثير والاقتباس، فعلى المستشرقين المذكورين السعي لإثبات العرفان لدى اليهود ابتداء، ولو ان الدين اليهودي لا يخلو أيضاً من عناصر العرفان، ولكنه ليس بكثرة فيه بحيث أنها تؤثر تأثيراً مباشراً وجاداً على مبادئ العرفان، فالتوراة المحرفة ليس لها القابلية في إيجاد هذا التأثير، والباحثون أنفسهم أيضاً يعلمون ان التعاليم اليهودية لا تتلائم مع مبادئ العرفان والتصوف[40].

4 . العرفان الهندي:

اعتقد الباحث والمستشرق وليام جونز: أن العرفان الإسلامي جاء متأثراً بالعرفان الهندي، وقارن بين وحدة الوجود والمذهب العرفاني المسمى <وندانتا>؛ ووصل بين أشعار مثنوي مولانا وحافظ و<جيتاجاوندايا>، ووافقه الرأي من بعده جماعة من المستشرقين أمثال: فولك، وآلفرد كريمر، وروزن، وجولدزيهر، وماكس هوركن، ومورينو[41]. وأما في الشرق الإسلامي، فقد كان أبو ريحان البيروني هو أول من عرض هذه الفكرة، وقارن بين

التصوف الإسلامي والعرفان الهندي، وذكر أنواعاً كثيرة للشبه بين فكر <أبي يزيد البسطامي، والحلاج، والشبلي، ومبادئ كتاب <گيتا>، ونقل آراء المتصوفة؛ وازن بينها وبين العرفان الهندي[42]؛ وكان أكثر الشبه في مجالات: الرياضة، اجتناب الشهوات، العلاقات الجنسية، القناعة، قوانين التحكم بالأجسام <يوگا>[43]، وحدة الوجود[44]، الوصول والفناء[45]، الشهود والمعرفة الباطنيين[46]، المحبة والعشق[47]، الرموز والأسرار[48].

يقول الدكتور غني: ان انتشار الإسلام ووصوله إلى حدود الصين، وظهور حركة التبادل التجاري، وترجمة الآثار البوذية والهندية إلى اللغة العربية، ودخول السواح الأجانب في جماعات رهبان الزنادقة، كان قد أثر أثراً كبيراً على التصوف الإسلامي[49].

ويرى المستشرق جولدزيهر: أن تأثير العرفان الهندي على التصوف الإسلامي يعود لعدة أسباب، هي:

أ . انتشار الإسلام في الشرق ووصوله إلى حدود الهند والصين.

ب . ظهور حركة الترجمة للكتب الهندية إلى اللغة العربية في القرن الثاني الهجري.

ج . ازدهار المحافل العلمية وندوات المناظرة من خلال وجود حكماء الهند المعروفين باسم <سمينة>.

د . اتساع مظاهر السياحة والاصطياف في البلاد الإسلامية لا سيما سوريا والشام، وقد سمّى الجاحظ أولئك السواح بالرهبان الزنادقة[50].

تحليل ودراسة:

صحيح أن هناك شبهاً بين المفاهيم العرفانية والأناشيد الدينية الهندية المعروفة باسم <أوبانيشاد>، ولكن مجرد هذا الشبه لا يكون دليلاً على الاقتباس، ولا شواهد تاريخية تثبت ذلك.

ولم يقصد البيروني في بيان وجه الشبه، هو اقتباس أحدهما من الآخر، فهذا لا يفهم من كلامه، ولا شواهد تاريخية تثبت صحة ذلك، فإن مجرد وجود التبادل التجاري لا يستلزم وجود التبادل الثقافي أيضاً[51].

مضافاً إلى ذلك: أن نفس التفاوت والاختلاف الأساسي والأصولي الموجود بين العرفان الهندي والإسلامي هو دليل على عدم صحة تلك النظرية، وذلك:

أولاً: اشتمال المذاهب الهندية على مسائل إلحادية كثيرة لا تتلائم على مفاهيم ومبادئ التوحيد في العرفان الإسلامي[52].

وثانياً: ان الهدف في العرفان الهندي هو تصفية النفوس والباطن؛ ولكن الهدف في العرفان الإسلامي هو <لقاء الله>، وكذا الهدف في العرفان الهندي هو التخلص والتحرر من الفقر والحرمان، ولكن الهدف في العرفان الإسلامي هو الوصول إلى الكمال.
وثالثاً: الهدف الغائي والأخير في العرفان الهندي هو الفناء، وأما في العرفان الإسلامي فهو الفناء للبقاء <بقاء الله>.

ورابعاً: تتناول المذاهب الهندية مفاهيم الحب والعشق، عدا مذهب <باكتي>، فإنه لا يشتمل على الحب، وأما العرفان الإسلامي، فأساسه العشق والحب(53).

5 . التأثير الإيراني:

يرى بعض المستشرقين أمثال: <گوبينو>، وفرديك دلتش، ورنان، وبل لاجارد: أن العنصر السامي عاجز عن الوصول إلى معرفة العلوم ودرك الحقائق لأنه:

أولاً: يمتلك قوة تخيلية ضعيفة.

ثانياً: لكونه غير قادر على فهم دقائق الأمور العقلية والمعنوية الظريفة.

فالتصوف في الأديان السامية انعكاس الانتماء اللغوي والقومي الآري هو مغلوب الانتماء السامي، وبما أن الذين ينتمون إلى الأصل الآري هم الأفضل، فقد تفوقوا في كافة المجالات العلمية والحضارية، واثبتوا جدارتهم وكفاءتهم العالية في مجال الثقافة، والفكر، والعقائد، والتاريخ، وان معرفة التصوف الإسلامي وارتباطه بالفكر الآري يتم من خلال معرفة هذه المجموعة، فقد قارن <هانري كربن> بين التصوف الإسلامي للسهروردي المقتول والعرفان الزردشتي لايجاد العلاقة والارتباط فيما بينهما(54).

وأكد الدكتور زرين كوب من خلال دراسته أهمية عوامل التأثير على ميراث <زردشت> كعهد <ألست>، والولاية، و... (55).

تحليل و دراسة:

لا يمكن انكار الدور العلمي والحضاري الإيراني الفاعل، والتاريخ العريق للمراكز العلمية مثل: <جندي شابور>، وتأثيره في تطوير ونشر الثقافة الإسلامية؛ فإن كثيراً من العرفاء هم من أصل إيراني، وان كتاب الشهيد المطهري <العلاقات المتبادلة بين الإسلام وإيران> هو أهم وثيقة وشاهد على هذا الإدعاء، ولكن يمكن القول هنا:

أولاً: أثبتت الأدلة والشواهد التاريخية المعتبرة أن التصوف كان قد ظهر في المدينة والبصرة، وأن المتصوفة الأوائل كانوا من العرب الساميين، أمثال: الحسن البصري، رابعة العدوية وهما من البصرة، وأبي هاشم الكوفي من الكوفة، ومعروف الكرخي، وسري السقطي، والجنيد البغدادي من بغداد.

ثانياً: ان الكلام عن العنصر الأفضل والقومية وقياسه بالفكر والعقيدة هو ليس منطقياً، ومرفوضاً؛ لأن الفكر والعقيدة ربما يكون لهما منشئاً ومولداً، ولكن ليس لهما وطناً محدداً. والأهم من ذلك هو: أن الثقافة العالية للفلاسفة والعرفاء الإيرانيين والتفوق والجدارة التي أبدوها في كافة المجالات، إنما يعود في الواقع إلى انتمائهم للحضارة الإسلامية ودولة القرآن؛ لا للقومية والانتماء العرقي؛ فإن أغلب هؤلاء الفلاسفة والعرفاء كانوا قد نهلوا من علوم مأدبة الكتاب والسنة، ولم يروا أنفسهم بعيدون أو مستقلون عن تلك المأدبة الإيمانية أبداً.

ثالثاً: يمكن الإجابة عما ذكره الدكتور زرين كوب:

إننا لو أغمضنا عن كون الشبه ليس دليلاً على الإقتباس؛ فلو كان الدين الزردشتي المحرف يمتلك تلك القابلية والاستعداد مثل هذا العرفان، فلماذا لم يكن له ذكر قبل الإسلام؟ بينما كان للعرفان الإسلامي آفاقاً واسعة وتطوراً ونمواً في آفاق الكتاب والسنة النبوية الشريفة والعترة الطاهرة؟! وبعد نقل العرفان إلى إيران من البلاد العربية لم يعد لتلك البلاد العربية مرّة أخرى، واستقر في إيران، باحثاً له آفاقاً ومحاور إيرانية واسعة[56].

6 . المذاهب الصينية:

اعتقد الباحث الياباني <توشيهيكو ايزوستو> وعمر فاروق بأن للمذاهب الصينية تاثيراً على التصوف الإسلامي، وكانت عاملاً مهماً في ظهوره[57]، فمثلاً مذهب <تاتويزم> المأخوذ من <لائوتسه 604 . 531 . قبل الميلاد> كان متأثراً بكتاب يعتمد فصلين: <تائوته كيسنك>، وهو يشتمل على مفاهيم ومبادئ غامضة وسريّة عرفانية، وهو كتاب في حجم صغير أكثر غموضاً من الكتب العرفانية الأخرى، يشرح فيه الهدف الواقعي للإنسان وهو: الوصول إلى (تاتو) أي الحقيقة، ولايتم الوصول إلى الوطن الأصلي إلاّ من خلال ترك الدنيا والمكاشفة؟ والوحدة في هذا المذهب هي سر الأسرار.

تحليل ودراسة:

ذكرنا سابقاً أن وجود الشبه لا يكون دليلاً على الإقتباس، ولكن لا يمكن انكار التأثير الجزئي لبداية العرفان الأول في العرفان الإسلامي، وليس هذا التأثير بمعنى الولادة المقبولة.

7 . المذاهب اليونانية:

النظرية الأخيرة التي ذكرها الباحثون حول تأثر التصوف الإسلامي هي: نظرية التأثير اليوناني وخصوصاً <التاثير الهلني> يعني اليونان عام 331 قبل الميلاد، فبعد فتوحات الإسكندر في الشرق والتي استمرت إلى القرن السادس بعد الميلاد، دخلت ثقافات جديدة في مجالات ميتافيزيقية وافلاطونية في جوانب سحرية وكيميائية، فتولد منها ثقافة تدعى <الصلاح والفلاح اليوناني>، وقد اطلق عليه ماسينيون <الصلاح والفلاح

الشرقي>[58]، ومن أمثلها: كتاب الأثولوجيا، ونظرية الفيض، والواحد لا يصدر إلا من الواحد، وهذه هي من نظريات السهروردي، وابن عربي، حيث تأثر وأتباعهما الشرقيين بمنهج <هرمس> وتاسوعات فلوطين، وقد ذكرا ذلك في كلماتهم.

تحليل ودراسة:

نحن لا ننكر دور تأثير الفلسفة والعرفان اليوناني، خصوصاً الفلسفة الأفلاطونية الجديدة <فلوطين> في المدرسة الأسكندرية والانطاكية، وذلك بعد عصر الترجمة للمتون الفلسفية والعرفانية، واشتهارها بين المسلمين، ولكن هنا أمور ينبغي ذكرها:

أولاً: أن وجود الشبه لا يدل على الاقتباس.

ثانياً: خرجت الفلسفة والعرفان الإسلامي بعد عصر الترجمة من حالة السبات والتقليد، وبنيا لهما أساساً باعتمادهما على الكتاب والسنة، نتج منه عرفان جديد لا يمكن قياسه بالعرفان في فتراته الأولى.

الرأي الثالث:

النظرية الاعتدالية:

وتبتني هذه النظرية على القول بأن العرفان والتصوف أعتمدا أسلوبهما العملي والنظري في الإسلام، فمن القائلين بها:

الف) بعض المستشرقين:

انتبه بعض المستشرقين إلى تصحيح أخطائهم في أقوالهم السابقة: بأن العرفان الإسلامي اقتباس من الثقافات التي سبقت الإسلام، ثم أعلنوا ندمهم عن آرائهم السابقة بعد عام 1920م؛ فمن بين المستشرقين الذين تغيّرت فكرتهم حول التصوف والعرفان، هو (نيكلسون)، فقد قال في عام 1906م: أن العرفان الإسلامي هو اقتباس من الثقافات الأجنبية المستوردة، ولكنه غيّر رأيه في عام 1921م، وقال: بدلاً من اضاعة الوقت في البحث للعثور على جذور التصوف؛ فإن هناك عوامل عديدة أثّرت في بناء التصوف، ينبغي علينا معرفتها ودراستها، وتلك هي العوامل الأساسية الأصلية النابعة من الصميم الإسلامي وذاته وعقائده، والعوامل الخارجية. ومن جملة العوامل أيضاً هي الظروف السياسية والاجتماعية والعقلية والداخلية في العالم الإسلامي[59].

وقال <لوئي ماسينيون>: لقد زرع القرآن البذرة الواقعية <والحقيقية للتصوف، وهذه البذور التي نشرها الإسلام هي كافية ووافية نستغني بها عن الجلوس على طاولة الأجنبي.. فلا يختص التصوف بطائفة، أو فئة معينة، أو لغة محددة، أو شعباً معيناً، بل هي ظاهرة روحية لا تتعين في إطار حدود مادية أو فئوية>[60].

ب) الشهيد مرتضى المطهري:

يرى الشهيد المطهري(ره): أن عناصر العرفان الأولية في جوانبه النظرية والعملية هي نابعة من الإسلام، وقد كان لتلك العناصر قواعد وظوابط أصولية، وتأثير أيضاً بعوالم خارجية كالافكار الفلسفية والكلامية وخاصة أفكار الفلسفة الإشراقية، ولكن مقدار تلك القواعد والضوابط الأصولية التي وضعها العرفاء لتلك العناصر الأولية الإسلامية؟ وهل أنهم نجحوا في عملهم كما نجح الفقهاء في بيان مدى التأثير والتأثر أم لا؟.. فهذا بحث آخر. ولكن الأمر المسلّم به هو: أن نشأة العرفان الإسلامي كانت هي الإسلام ولا غير[61]، فمن هذه الجهة، ليس هنا تشابهاً بين العرفان والفقه والحديث، فلا نقول أنه نابعاً بنسبة 100% من المصادر الإسلامية!! وهو أيضاً ليس كالرياضيات والطب، في كونه مستورداً تماماً من غير الإسلام، بل ان العرفان وكحدّ وسط بين هاذين الأمرين.

ثم عرض الشهيد المطهري نماذج عديدة عرفانية مستوحاة من القرآن، ونهج البلاغة، فالادعية الإسلامية ومنها الأدعية الشيعية هي كنوز العلوم والمعارف العرفانية، كدعاء كميل، ودعاء أبي حمزة الثمالي، والمناجاة الشعبانية، وأدعية الصحيفة السجادية، فإنها غنيّة بالمفاهيم والأفكار المعنوية ذات المضامين العالية، وتشتمل على حالات عرفانية، فمع كل هذه المصادر، هل تبقى لنا حاجة بعدها في البحث عن مصادر أجنبية مستوردة؟![62]

ج) الإمام الخميني:

يقول صانع الحماسة الإسلامية الإيرانية والعارف والحكيم الإلهي الإمام الخميني(ره) في كلامه حول أهل المعرفة: من الأمور التي ينبغي الانتباه لها وان يهتم بها الأخوة المؤمنون وخاصة أهل العلم هي: أنهم إذا شاهدوا شيئاً أو سمعوا كلاماً من أهل المعرفة، فلا يرموهم بالفساد والبطلان بلا دليل شرعي، أو يصغوا بآذانهم إليهم، ولا يجوز لهم أن يحقّروهم، فإنني أقسم بالله أن كلامهم هو شرح للقرآن والحديث[63]. وقال في موضع آخر: أنّ ما يقوله العرفاء والشعراء . عرفاء المسلك . والفلاسة هو شيء واحد، فلا يجوز ابعاد الأمة عن هذه الخيرات، فلو أطال الله تعالى في عمرنا، لذكرنا كلاماً مثل كلامهم، ووضعنا احتمالاً واحداً لها؛ فلا تقولوا: أعدتم كلامكم في هذا المجال، كلا، بل ينبغي تكراره واعادته ثانياً[64].

وبعث الإمام الخميني برسالتين إلى زوجة أبنه السيد أحمد قائلاً لها: ابنتي، ان لم تقدري أن تكوني أو تصيري أهلاً، فلا تنكري مقامات العارفين والصالحين، فكثير مما قال أولئك قد ورد في القرآن الكريم، وفي الأدعية ومناجاة أهل العصمة[65].

د) العلامة الطباطبائي:

قال المفسر والعارف الحكيم العلامة الطباطبائي: نعم هاهنا حقيقة قرآنية لا مجال لإنكارها وهي: أن دخول الإنسان في حظيرة الولاية الإلهية، وتقرّبه إلى ساحة القدس والكبرياء يفتح له باباً إلى ملكوت السماوات والأرض، يشاهد منه ما خفي على غيره من آيات الله الكبرى، وأنوار جبروته التي لا تطفأ، قال الصادق: لو لا أن الشياطين يحرمون حول قلوب بني آدم، لرأوا ملكوت السماوات والأرض.

وفيما رواه الجمهور عن النبي(ص)، قال: لو لا تكثير في كلامكم، وتمريج في قلوبكم، لرأيتم ما أرى، ولسمعتم ما أسمع.

فإن هذا طريق غير فكري، وموهبة إلهية يختص بها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

واستنتج العلامة الطباطبائي في بحثه قائلاً: وبالجملة؛ فهذه طرق ثلاثة في البحث والكشف عنها: الظواهر الدينية، وطريق البحث العقلي، وطريق تصفية النفس، أخذ بكل منها طائفة من المسلمين، على ما بين الطوائف الثلاث من التنازع والتدافع، وجمعهم في ذلك كزوايا المثلث، كلما زدت في مقدار واحدة منها، نقصت من الأخريين وبالعكس[66].

هـ) العلامة حسن زاده الآملي:

قال العلامة الآملي: المجتمع بلا عرفان كالجسد بلا روح، وأن العلم والعرفان هما اللذان يبنيان الإنسان، فإن حقيقة عروج النفس هي بمنزلة معرفة الله سبحانه وتعالى، وقد ذكر العرفان الإصلي في منطق الوحي، والروايات الواردة عن أئمة أهل بيت العصمة والطهارة[67].

تنقيح البحث:

أكدنا على أهم مسألة في هذا البحث وهي: أن المراد بالعرفان الإسلامي هو ليس ان تكون كافة ابحاثه ومعارفه مستوحاة من الكتاب والسنة (الرأي الأول)، بل المراد به هو: أن أكثر العرفاء هم من المسلمين، أو أن أكثر مفاهيمه مستمدة من الكتاب والسنة (الرأي الثالث). ويبدو أن هذا أمراً منطقياً، يتلائم وطبيعة الشواهد والأدلة التاريخية والعلمية، وبناء عليه: يكون الاهتمام منصّباً على العوامل الباطنية للعرفان الإسلامي التي استوحاها من الكتاب والسنة، وعلى دور بعض الثقافات التي سبقت الإسلام، والتي لا يمكن انكارها أو تجاهلها.

والأمر الآخر المهم في هذا البحث هو: أن التصوف والعرفان الإسلامي كانا قد مرّا بمراحل وتحولات واسعة أدت إلى تطور كل منهما ونموّه ايجاباً أو سلباً، فالمتصوفة لم يلتزموا بالطريقة والشريعة، وتبرؤا من ظواهر الدين، فاوجدوا لهم مناسك وأعمال خاصة تختلف عن أعمال المسلمين، وبنوا لهم خانقاهات بدلاً من الذهاب إلى المساجد، ونفواً أساساً ان يلتزموا بمبدأ أو يقيدوا أنفسهم بدين خاص، وتصوروا ان الأديان كلها في رتبة

متساوية، فعرّضوا أنفسهم لانتقادات الأئمة والفقهاء والمتكلمين، بسبب شناعة أفعالهم التي لا تبتّ إلى الإسلام بصلة، وعرّضوا أنفسهم لصنوف العذاب، وكفّرهم المسلمون، بل وصل بهم الأمر إلى الملاحقة والتشريد والقتل، وقد عرف هؤلاء بالمتصوفة.

ومن جهة أخرى وفي مواجهة هذا المسلك نشأ العرفان بثوبه الإسلامي الأصيل، واشتهر منه رجال حكماء وعرفاء، منهم: الملا صدرا؛ والسيد حيدر الآملي، ومن المعاصرين: الإمام الخميني(ره)، والعلامة الطباطبائي، والشهيد المطهري، وحسن زاده الآملي، وجوادي آملي، والسيد جلال الدين الاشتياني وغيرهم.. فكل هؤلاء اعتقدوا: أن الوصول إلى مرحلة الكشف والشهود، والانتفاع باللذائذ العرفانية، لا يحصل إلا من خلال التقيدّ والالتزام بقوانين الشريعة، واتباعها، والعمل بالكتاب والسنة؛ ولا يجوز الانحراف عنها؛ أو مخالفتها وتجاوز حدودها، وهناك بون بعيد بين الطائفتين، فلا يحكم عليهم بالتساوي، أو رميهم بعصا واحدة، فإن هذا بعيد عن الإنصاف والمنطق السليم.

وان كثيراً من الخلافات والنزاعات كانت قد نشأت بسبب عدم معرفة حدود كل منهما، ولذا يمكن الدفاع عن العرفان؛ وأما ما سواه، فليس إلا الحيرة والضياع، ولا ثمرة أخرى له أبداً، فهو ليس إلا الانحراف عن الإسلام الأصيل والتقاط أفكار غريبة ومستوردة ولا شيء آخر. . وأخيراً: لا يمكن انكار وجود تلك الأرضية للعرفان الإسلامي، أو النظر له بمنظار قرآني أو روائي.. وإليك نماذج على ذلك:

نماذج قرآنية:

الف) التوحيد:

العلاقة بين الله وما سواه في النظر القرآنية هي ليست كعلاقة البناء والبنّاء، ولا كصانع الساعة والساعة، ولا كعلاقة العلّة والمعلول؛ فبعد أن بيّن سبحانه وتعالى أنه خالق الكون قال: {**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**}[68]، وقال: {**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ...**}[69]، وقال: {**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ...**} [70]، وقال: {**وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ...**}[71]، وقال: {**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ...**}[72]، وقال: {**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...**}[73]؛ وهناك عشرات الآيات التي تثبت سموّ الأفكار التوحيدية عن مستوى البشر.

ب) السير والسلوك:

قال الشهيد المطهري: علينا أمعان النظر والتدقيق في الآيات التي تتناول (لقاء الله) و(رضوان الله) وآيات الوحي والإلهام، وكلام الملائكة مع غير الأنبياء من البشر، ككلام الوحي مع مريم، وملاحظة خصوص آيات معراج النبي(ص) وذلك في أثناء السير والسلوك، وطيّ مراحل القرب الإلهي إلى أخر المنازل[74].. فمن أمثلتها:

قوله تعالى: {**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**}[75]، وقوله: {**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**}[76]؛ وقوله: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى**

اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا...}[77]؛ وقوله: {**يَا أَيُّهَا الإنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ**}[78]، وقوله: {**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**}[79].

وكذا الآيات التي تتحدث عن النفس الأمّارة، كقوله تعالى: {**إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ . . .**}[80]، وعن النفس اللوامة، كقوله تعالى: {**وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ...**}[81]، وكقوله تعالى: {**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**}[82].

وعن النفس السوية والملهمة، كقوله تعالى: {**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**}[83].

ج) الآيات المرتبطة بالزهد:

وهي نماذج عديدة؛ كآيات ترجيح الدنيا على الآخرة، أو ذم الدنيا ووصفها باللهو واللعب؛ كقوله تعالى: {**وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**}[84]، {**قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى...**}[85]، {**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ...**}[86]، {**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...**}[87]، {**فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ...**}[88]، {**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ...**}[89].

د) التضاد بين الدنيا والآخرة:

وأما الآيات التي تتحدث عن وجود التضاد بين الدنيا والآخرة فهي كثيرة، منها: قوله: {**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**}[90]، وفي آية أخرى مخاطباً الكفار: {**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا...**}[91]، وأما شأن نزول هذه الآية فهو: أن بعض الصحابة كانوا يجتمعون في بيت عثمان بن مظعون، ويعزفون عن الدنيا، فلما علم النبي بهم، نهاهم عن الرهبانية والعزوف عن الدنيا، معترضاً عليهم اشد الإعتراض، قائلا لعثمان بن مظعون: يا عثمان، ان الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية، إنما رهابنية أمتي الجهاد[92].

وقال تعالى: أيضاً: {**مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...**}[93].

أما الأخبار والروايات التي وردت حول التضاد بين الدنيا والآخرة فكثيرة.

منها: قال: الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخره حرام على أهل الدنيا[94]. وقال علي: ان الدنيا والآخرة عدوّان متفاوتان، وسبيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولاها، أبغض الآخرة عاداها؛ وهما بمنزلة المشرق والمغرب، وماشي بينهما، كلما قرب من واحد بعد من الآخر[95].

وهناك أخبار وروايات تذكر ان الجمع بين الدنيا والآخرة هو من الحيل والخدع: كقوله: طلب الجمع بين الدنيا والآخرة من خداع النفس[96]، وقوله: لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب المؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد[97].

ان تناول هذه الأحاديث للزهد هو ليس معناه ترك الدنيا والعزوف عنها والرهبانية، لان الإسلام دين الحياة والمجتمع، وهو يتنافى مع حالات العزلة والانزواء والرهبانية، بل هذه الأحاديث بصدد بيان ذم الدنيا والتعلّق بها غاية التعلّق، كما ورد عنه قوله: <حب الدنيا رأس كل خطيئة>، فمن الفوارق المهمة بين التصوف والعرفان هو: أن الشريعة لا تنفصل عن الطريقة، بل هما أمر واحد؛ فإذا أرادت البشرية أن تصل إلى تعاليم السماء وتطبقها؛ فما عليها سوى اتباع أوامر الانبياء والأوصياء واجتناب نواهيهم، والمضي على نهجهم؛ وان النبي هو أفضل أسوة في هذا الاقتداء، وكذا الأئمة المعصومين، فهم السالكون في طريق الحق، والمرشدون لايقاعه وسلوكه.

هـ) حياة الخواص من الصحابة والتابعين:

تعبّر ترجمة صحابة الصدر الأول في الإسلام عن الإرادة الراسخة الإيمانية والمشاعر الجياشة، والعناصر الروحية القوية، والوضوح في الرؤية القلبية، وتحمّل المتاعب والصعاب، والعشق الإلهي المعنوي، وإليك نموذجاً رائعاً لتلك الحالات لبعض الصحابة:

روي في الكافي: أن رسول الله صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شابّ في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفرّاً لونه، قد نحف جسمه، وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقنا، فعجب رسول الله من قوله وقال: ان لكل يقين حقيقة، فما حقيقة يقينك؟ فقال: أن يقيني يا رسول الله هو الذي أرّقني، وأسهر ليلي، وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتّى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب، وحشر الخلائق لذلك، وأنا فيهم؛ وكأني أنظر أهل الجنة يتنعمون في الجنة، ويتعارفون، وعلى الأرائك متكئون، وكأني أنظر إلى أهل النار، وهم فيها معذبون، مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار، يدور في مسامعي، فقال رسول الله لأصحابه: هذا عبد نوّر الله قلبه بالإيمان، ثم قال له: الزم ما أنت عليه، فقال الشاب: ادع الله لي يا رسول الله أن أرزق الشهادة معك، فدعا له رسولالله، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي فاستشهد[98].

نتائج البحث:

وتظهر عدة نتائج من هذه الدراسة والبحث، من أهمها:

أ . يمكن ان تتصف الفلسفة والعرفان بالصفة الإسلامية، فيما إذا كان أكثر محتواهما يعبّر عن الإسلام، أو كان أكثر العرفاء هم من المسلمين.

ب . العرفان كالفلسفة لا يختص بشعب أو مبدأ و دين معيّن، وان العرفان لم يتأثر تماماً بثقافة أجنبية سبقت الإسلام: كالثقافة اليونانية مثلاً أو الإيرانية، أو الهندية، أو المذاهب والأديان السابقة: كاليهودية، والمسيحية، والزرداشتية، فالعرفان الإسلامي لم يكن مقتبسا منها <نقد الرأي الأول والثاني>.

ج . لم يكن العرفان والتصوف بعد ظهورهما في القرن الثاني والثالث في جهة واحدة ومسير معين، بل اتجه كل منهما سلباً وايجاباً في ايجاد دوره الفاعل في مسيرته الحضارية، فالتصوف مثلاً أصيب بالانحراف، وابتلي أصحابه بالبدعة، فأوجدوا لهم الخانقاه بدل المسجد، وابتدعوا أساليب وطرق للعبادة لا تمتّ إلى الشريعة بصلة، وفصلوا بين الشريعة عن الطريقة، وتكلم المتصوفة بكلام عرفاني إلحادي كان متداولاً قبل الإسلام، فذمهم الأئمة والعلماء والفقهاء، وطعنوا فيهم، بل كفّرهم بعض العلماء، وأوجبوا قتلهم وإراقة دمائهم، فالدفاع عن العرفان هو ليس دفاع عنهم.

هـ) أهتم بعض الباحثين والعلماء المسلمين بالجوانب العرفانية، وبيان أسرار الآيات والروايات المرتبطة به، وذلك من خلال التعمق في مفاهيم الآيات القرآنية والسنة، وأحاديث الأئمة، والتي دعت إلى مواجهة التيار الإنحرافي الصوفي الإفراطي بشدة، لكنها عرضت العرفان النظري في صورته الحقيقية، معتمدة على المعارف والعلوم الإسلامية الأصلية، والعرفان العملي على انه نهج الأئمة المعصومين وسيرهم وسلوكهم في هذه المرحلة، وأكّد العلماء والباحثون على عدم فصل الشريعة عن الطريقة، بل هما وجهان لعملة واحدة في ضرورة المحافظة عليهما. وهم في نفس الوقت لا ينكروا تأثير أو تأثر الفلسفة والعرفان (الرأي الثاني).

والحمد لله رب العلامين
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

الهوامش:

1. سلسلة ابحاث الفلسفة الإسلامية/ لمصباح اليزدي، العدد2، قم مؤسسة في طريق الحق، ص27، الآراء الفلسفية: جامعة طهران، برديس قم، رقم3، 1384، ومقالة ماهية الفلسفة الإسلامية: لكاتب هذا البحث، ص84.
2. انظر قاموس دهخدا، دار نشر جامعة طهران، 1341ش، مادة عرفان.
3. عوارف المعارف: للسهروردي، آخر باب الترجمة، العرفان النظري: لعبد المؤمن الأصفهاني نقلاً عن يحيى اليثربي، مركز نشر مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية بقم، الطبعة الثانية 1741هـ، ص/27.
4. العلاقات المتبادلة بين الإسلام وإيران: مرتضى المطهري، مكتب النشر الإسلامي بقم، ط1362ش، ص: 575.
5. مقدمة ابن خلدون، ترجمة محمّد بروين الكنابادي، دار الترجمة ونشر الكتاب 1337ش، وانظر العلاقات المتبادلة بين الإسلام وإيران، ص575.
6. المصدر السابق نفسه

7. تذكرة الأولياء: فريد الدين العطار النيشابوري، تصحيح محمّد الاستعلامي، دار نشر الزوار، 1364ش، ص: 192.
8. المصدر السابق نفسه، ص:193.
9. الحديد: 20.
10. الأحزاب: 21.
11. أسئلة وأجوبة، العرفان والتصوف: محمّد رضا الكاشفي، مكتب نشر المعارف، 1385ش، قم، ص27، ومعرفة العلوم الإسلامية: الشيراواني/ ص: 27، والدين العرفاني والعرفان الديني، انتشارات دار الفكر، قم، 1377 ش، ص34.
12. الاحتجاج: أحمد بن علي الطبرسي، النجف، مطبعة النعمان، 1386 هـ .ق، ج2، ص43.
13. المصدر نفسه: 43.
14. تاريخ التصوف الإسلامي، عبدالرحمن البدوي، ترجمة افتخارزاده، قم، دفتر نشر المعارف، 1375ش، ص: 186.
15. سفينة البحار: محمّد باقر المجلسي، دار نشر العابدي، ج2، ص: 57.
16. المصدر السابق: ص58.
17. انظر بحار الأنوار: ج1 و15 و17، وسفينة البحار: ج2، ص57، وما بعدها.
18. حديقة الشيعة: احمد بن محمد الأذربايجاني (المقدس الأردبيلي) مكتبة شمس . ص564 . 606.
19. انظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة: الآغا بزرگ الطهراني، ج6، ص385 . 386، بيروت، دار الأضواء 1403 ق.
20. تاريخ الفلسفة الإسلامية: للسيد إسحاق الحسيني الكوهساري (كاتب هذا البحث)، ص230، طهران، انتشارات أمير كبير.
21. المصدر السابق: ص248.
22. البحث في تصوف إيران: عبدالحسين زرين كوب، ص 4 . 6؛ طهران، انتشارات أمير كبير، 1376ش.
23. الدين والعرفان: ص42 . 43.
24. الدين والعرفان: ص43 . 44.
25. تاريخ التصوف الإسلامي: عبدالرحمن بدوي، ترجمة الدكتور محمد رضا افتخارزاده، مكتب نشر المعارف الإسلامية، قم، ص54.
26. تاريخ التصوف في الإسلام: الدكتور قاسم غني، زوار، طهران، 1369ش، ص68 . 70.
27. العرفان النظري: يحيى اليثربي، ص74، قم، مكتب الاعلام الإسلامي للحوزة العلمية بقم، 1374ش، نقلاً عن الإسلام والتصوف: ص13.
28. تاريخ التصوف: الدكتور غني، ص75، وانظر نغمات الأنس: الجامعي، ص31، انتشارات المحمودي.
29. رسالة بولس الثانية إلى كوزنتيان، الفصل 12، 15.
30. رسالة بولس الأولى، الفصل 2، 10، 9.
31. رسالة بولس إلى غلاطيان، الفصل الخامس، 18.
32. تاريخ الفلسفة في العالم الإسلامي: خليل الحر، حنا الفاخوري، ترجمة عبدالمحمد آيتي، ص253، طهران، دار النشر العلمية والثقافية، 1373.
33. منازل السائرين: ص251.

34. آل عمران: 31.
35. المائدة: 54.
36. البقرة: 165.
37. الحديد: 27.
38. تاريخ التصوف: البدوي، ص53 . 54.
39. التلمود في العبرية معناها: التعاليم، وهي مجموعة من السنن الكونية والإلهية وأصول الدين التي جاء بها موسى.
40. العرفان النظري: ص107.
41. تاريخ التصوف: البدوي، ص56.
42. المصدر السابق . نقلاً عن تحقيق . ماللهند . : أبو ريحان البيروني، ص43، دار نشر ادوارد سخاو . لا يبزيك . 1925م.
43. الأديان والمذاهب الفلسفية الهندية، ص668 و675.
44. المصدر نفسه: ص24.
45. المصدر نفسه: ص22، وانظر العرفان النظري: ص68.
46. المصدر نفسه: ص406، وص408.
47. المصدر نفسه: ص337 . 342.
48. المصدر نفسه: ص35.
49. تاريخ التصور: الدكتور غني، والخلاصة: ص157 . 155، وانظر الزهد والتوصف، ص73 . 74، والعرفان النظري: ص91 . 93.
50. الزهد والتصوف في الإسلام، ص74 . 68، والعرفان النظري، ص93 . 94.
51. الفهرست: ابن النديم، ج2، ص246.
52. الدين والعرفان: الفعالي، ص55.
53. تاريخ التصوف: الدكتور غني، ص63؛ العرفان النظري: ص96.94.
54. تاريخ التصوف: البدوي . نبذة منه . ص52 و53.
55. البحث في التصوف الإيراني: عبدالحسين زرين كوب، ص22 . 27، أمير كبير، طهران، 1376ش.
56. الدين والعرفان: ص64 . 66.
57. الدين والعرفان: فعالي، ص55 . 56، التصوف والعرفان: عمر فاروق، ص143.
58. البحث في التصوف: الدكتور زرين كوب، ص1 . 29، وتاريخ التصوف :البدوي، ص26 . 64.
59. تاريخ التصوف: البدوي؛ ص65 . 68.
60. معراج السالكين وصلاة العارفين: السيد روح الله الخميني، ص38، نقلاً عن التعاليم العرفانية، ص29، وتفسير سورة الحمد: للإمام الخميني مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني، ص193، 1378ش، وص68 . 76، ومعرفة العلوم الإسلامية، ص91؛ والعرفان الديني والدين العرفاني: الشيرواني، ص43 . 44.
61. معرفة العلوم الإسلامية، ص84 . 85.
62. المصدر نفسه، ص84 ، 90.
63. معراج السالكين وصلاة العارفين: روح الله الخميني، ص38 نقلاً عن التعاليم العرفانية ص29.
64. تفسير سورة الحمد: روح الله الخميني، مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني، ص193، ص1378ش.

65. التعاليم العرفانية: ص30.
66. الميزان في تفسير القرآن: محمّد حسين الطباطبائي، ج5، ص270، بيروت منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1394ق.
67. ألف كلمة: حسن زاده الآملي، ج2، ص387، الكلمة 283.
68. الحديد: 4.
69. البقرة: 15.
70. الواقعة: 85.
71. ق: 16.
72. الأنفال: 24.
73. النور: 35.
74. معرفة العلوم الإسلامية، العرفان: ص87.
75. العنكبوت: 69.
76. الشمس: 9 . 10.
77. التحريم: 8.
78. الانشقاق: 6.
79. النازعات: 40 . 41.
80. يوسف: 53.
81. القيامة: 2.
82. الشمس: 7.
83. الفجر: 27.
84. عمران: 185.
85. النساء: 77.
86. الأنعام: 32.
87. الكهف: 46.
88. التوبة: 38.
89. غافر: 39.
90. الشورى: 20.
91. الاحقاف: 20.
92. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي؛ ج70، ص115، وج82، ص114؛ مؤسسة الوفاء . بيروت، 1403 ق.
93. الأحزاب: 4.
94. جامع الصغير، ج2، ص16، العرفان النظري: ص117.
95. نهج البلاغة: السيد رضي محمد بن الحسين... مؤسسة أمير المؤمنين للتحقيق/ قم: 1376، الحكمة 103.
96. ميزان الحكمة: ري شهري، ج3، ص325، نقلاً عن غرر الحكم.
97. المصدر نفسه.
98. معرفة العلوم الإسلامية: ص88 . 98.

TOWARDS MODERATE ISLAM

ISSN 1412-226x

AL-ZAHRÄ'

JOURNAL FOR ISLAMIC AND ARABIC STUDIES

In This Issue

-
-
-
-
-
-
-

Vol 12 No 2 ▪ 1436 H/2014 M